

الليبيون يتطلعون للاحتفال بالذكرى 68 للاستقلال في ميدان طرابلس

سرية بين الأحياء الأهل بالسكان داخل مصراتة.

وأكدت هذه الضربات أن الجيش نجح في اختراق جميع حصون المتطرفين. وأنه لم يكتف بالسيطرة على الأجواء، وإنما لديه عيون على الأرض كذلك ترقب كل الدقائق المتعلقة بتدريب السلاح والذخيرة وتخزينها ونقلها إلى المحاور، وبحرك الأرتال وتجمعات المتطرفين. وما زاد من مخاوف الميليشيات ومن يقف وراءها أن يكون الجيش محتكما على قواته تمده بصور تلتقطها أقمار صناعية. ما يزعم حكومة الوفاق وميليشياتها كذلك هو أن الجيش يبدو أنه حصل على ضوء أخضر دولي لإتمام مهمة دخول طرابلس. وتقول مصادر من وزارة خارجية الوفاق، إن "كل ما يقال لنا من بعض القوى الإقليمية والدولية عن ضرورة وقف العمليات العسكرية ليس سوى ذر للبراد على العيون. ما يدور في الخفاء مختلف تماما، فأغلب الدول ترى أن لاحل في ليبيا إلا بسيطرة الجيش، واستعادة الدولة لمؤسساتها الرسمية الأمنية والعسكرية".

وتضيف المصادر، "حتى الأميركيين لا يريدون تكرار السيناريو العراقي أو الأفغاني أو الصومالي، والرئيس دونالد ترامب يطعم إلى أن يقوم الجيش الليبي بدور حاسم في تهيمته ليبيا أمينا لعملية سياسية ناجحة". والأربعاء الماضي، أكدت القيادة العامة للقوات المسلحة الليبية أنه لا مجال لنجاح أي عملية سياسية ما لم يتم القضاء على المجموعات الإرهابية واضافت أن المجموعات الإرهابية والميليشيات بشكلان عائقا أمام قيام الدولة والحل السياسي وإيجاد سلطة في طرابلس تمتلك إرادة سياسية لها أرضية دستورية.

وأشارت القيادة العامة إلى أن وزير داخلية حكومة الوفاق فتحي باشاغا أقر في تصريحات تلفزيونية مؤخرا أن الميليشيات تحولت إلى مافيا، وأنها منعتهم من إقامة الدولة وهي السبب في قدوم قوات الجيش الوطني لطرابلس. وفي ذلك إقرار من سلطات طرابلس بشروعية العملية العسكرية التي تقودها القيادة العامة لتفكيك هذه الميليشيات والقضاء على الإرهاب. في مكتب المشير خليفة حفتر بضاحية الرحمة في بنغازي، تعقد لقاءات يومية لوضع السمات الأخيرة على خطة إدارة العاصمة بعد تحريرها. لا شيء متروك للارتجال. وكبرى الكفاءات من مختلف الجهات والمدارس والأجيال تنتظر لحظة تحرير العاصمة. وكل مصالح مجلس النواب والحكومة المؤقتة تعمل في ذات الاتجاه الداعم. والمفاوضات لاختيار سلطة التكنولوجيا التي ستقوى السلطة المدنية تجري على قدم وساق. أما حكومة الوفاق، فلم تعد قادرة على إقناع أي طرف إقليمي أو دولي بالفصل بين الميليشيات والإرهاب، ولا بأنها ستفعل في تحقيق ما فشلت في تحقيقه منذ توقيع اتفاق الصخيرات قبل أربع سنوات.

التبرؤ من التحالف مع الإرهاب والحديث عن مرتزقة روس أو عن دعم سوداني لم يثمر شيئا. التلاعب بالمفردات والمصطلحات وزعم الدفاع عن مدينة الدولة في وجه مشروع لعسكرتها لم يفضي إلى نتيجة. الوعود الباذخة بالاستثمارات والصفقات النفطية والأخرى المتعلقة بإعادة الأعمار، لم تجلب تعاطفا مع الرئاسي وحكومته. اليوم هناك حقيقة على الأرض هي التي يعترف بها العالم، وهي وجود جيش وطني على مشارف العاصمة يستعد لإقتحامها، بدعم شعبي يتطلع إلى احتفال خاص بعيد الاستقلال في 24 ديسمبر القادم في الساحة الكبرى التي ستجمع الليبيين على وطن واحد في ظل مصالحة وطنية تاذن بمرحلة جديدة من البناء والأزدهار.

القول إن القائد يستطيع الاستجابة الفورية للمواقف الطارئة بسرعة أكبر إذا توفرت له طائرات عمودية لتحريك قوته. وأثبتت الشواهد التاريخية أن باستطاعة وحدة مشاة قليلة العدد، ولكنها مدربة على التحرك والقتال بالطائرات العمودية، التأثير على سير المعركة، وذلك بالمنورة من أحد الأجناب أو عبر الحافة الأمامية، للقيام بحركة حزر لعناصر العدو الأمامية المتقدمة، أو لضرب أحد أجنابه، أو احتلال منطقة حيوية لتكون رأس جسر، تمهيدا للالتقاء بقوة صديقة أكبر، أو إرباك تحرك العدو بضرب مؤخرته أو قواته الاحتياطية. وبعد إنزال الطائرات العمودية لهذه القوة، تستمر في تعزيزها بالنيران وإدامة عملياتها بالإمدادات حتى انتهاء مهمتها.

ويرى المراقبون أن دخول المروحيات ساحات القتال في طرابلس يعني أن الخطة العسكرية للاقتحام دخلت حيز التنفيذ، وأن الأيام القادمة ستعرف المنعطف الأهم في عملية طوفان الكرامة التي اطلقتها الجيش الوطني في الرابع من أبريل الماضي، بعد أن تم استنزاف الجانب الأكبر من قوة الميليشيات وتكبيدها خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، وقطع أغلب طرق الإمداد عنها، ودخول عدد من أمراء الحرب في مفاوضات سرية مع قيادة الجيش بهدف التوصل إلى الحصول على منافذ للفرار إلى الخارج صعبة عائلاتهم.

بؤادر الحسم ظهرت مع وصول قوات الجيش إلى مشارف العاصمة والمتاخم لباي بوسليم، الحي الشعبي الأكبر العزيزية، حيث كان مقر القيادة السياسية السابق

عرف الجانب المعنوي للميليشيات حالة من الانهيار. هناك شعور لدى المتطرفين بأنهم دخلوا طوق الهزيمة. البعض أدرك أن خيانات تعصف بقواتهم من الداخل. ولم تعد لديه ثقة في المجلس الرئاسي الذي يبحث عن حل من تحت الطاولة مع قيادة الجيش، ولا في جماعة الإخوان التي طالما أكدت لبعض الوسطاء الغربيين أنها لم تعد ترى مانعا من بسط القوات المسلحة نفوذها على العاصمة مقابل حمايتهم من الغضب الشعبي وضمان دور مستقبل لها في إدارة شؤون البلاد. لكنها لا تزال تصطدم بالرفض الحاسم لذلك الدور من قبل مجلس النواب والقيادة العامة.

سأهم سلاح الجو بدور كبير في ضرب معنويات عناصر الميليشيات التي تآثرت أيضا بالضربات التي استهدفت عددا كبيرا من المدرعات التركية في مخازن

الحيبيب الأسود
كاتب تونسي

أقربت ساعة الحسم، لم يعد هناك الكثير أمام موعد التحرير، هكذا يتحدث قادة الجيش الوطني الليبي بكل ثقة، الذكرى الثامنة والستون لاستقلال سنحتفل بها في طرابلس، وستكون مناسبة لتجميع الليبيين وتأكيد سيادة الدولة ووحدة المجتمع والمصالحة الوطنية التي تشمل الجميع باستثناء سافكي دماء الأبرياء من الإرهابيين وأمراء الحرب، ودواعش المال العام، والمتآمريين على الأمن القومي للبلاد.

بؤادر الحسم ظهرت مع وصول قوات الجيش إلى مشارف بوسليم، الحي الشعبي الأكبر بالعاصمة والمتاخم لباي العزيزية، حيث كان مقر القيادة السياسية السابق. السيطرة على محور الخلاطات ومنطقة الروابش فتحت الطريق نحو قلب طرابلس.

وأعطت هذه التحركات دفعة أمل لدى السكان المحليين الذين ينتظرون لحظة دخول قواتهم المسلحة إلى العاصمة لتنتهي سنوات من حكم الميليشيات الذي مارس كل أنواع التنكيل بالمواطنين وأشكال التلاعب بمؤسسات الدولة.

يمتاز حي بوسليم بأهمية استراتيجية باعتباره بوابة لوسط طرابلس، وبأهمية اجتماعية كونه يضم سكانا من مختلف قبائل ليبيا الداعمة للقوات المسلحة، وكان له تاريخ بارز في التصادم مع الميليشيات منذ عام 2011، وهو اليوم ينتظر لحظة دخول الجيش للإطباق على مسلحي الميليشيات. بدأت تلك اللحظة تقترب في ظل وصول تعزيزات ضخمة تعتمد بالأساس على القوات الخاصة التي

ستنفذ عملياتها بكل دقة من خلال عمليات الإنزال على مواقع يعتقد أمراء الحرب أنها محصنة. تعمل غرفة العمليات العسكرية حاليا على ربط المحاور المختلفة للقتال وإحكام السيطرة على مداخل العاصمة وخلق طوق متكامل يكبر مع كل تقدم للقوات المسلحة لمنع الميليشيات من القيام بأي عمليات عسكرية والقضاء على مقاومتها، وفق تصريحات للعميد خالد المحجوب المتحدث الرسمي باسم غرفة عمليات الكرامة.

دخلت المروحيات ساحة القتال لأول مرة، مهمتها ملاحقة التجمعات الإرهابية لفتح الطريق أمام القوات البرية. وقال اللواء أحمد المسماري، الناطق باسم القيادة العامة للجيش الوطني، إن سلاح الجو بدأ في العمليات إشراك الطيران العمودي في العمليات العسكرية في معارك طرابلس. وأضاف أن طائرات سرب "الشهيد مؤمن الدراسي" نفذت بشكل مكثف عدة ضربات قوية على الميليشيات العسكرية للجيش الوطني، على أن يكف الطيران العمودي من عملياته خلال الأيام القادمة في حواضر طرابلس. واعتبر المسماري، أن دخول السرب العمودي في المعركة إشارة إلى قرب الحسم.

تشير الدراسات الاستراتيجية إلى أن من وظائف الطيران العمودي تحريك القوات والمعدات جوا إلى المناطق المحرقة بسرعة فائقة، متجاوزة العوائق الطبيعية والصناعية الصعبة، التي عادة ما تشكل صعوبة لتحريك القوات برا إلى أهدافها.

ولإيضاح ذلك على سبيل المثال، تحتاج حضيرة المشاة الراجلة إلى ست ساعات تقريبا لقطع مسافة 30 كم، فإذا كانت محاولة على ناقلة جنود مدرعة، فإنها تقطع المسافة نفسها في ساعتين، في حين لو تم نقلها بطائرة عمودية لما استغرقت لقطع هذه المسافة سوى من 10 إلى 15 دقيقة. وبالتالي يمكن

ورقة الميليشيات تفقد صلاحيتها بتراجع نفوذ داعمها القوى العسكرية المركزية تسترجع توازنها



شهادة تخرج بلا فائدة مستقبلية

القوى المحلية والإقليمية والدولية بنحو تجاه المطالبة بالتخلص من شرورها. صارت عنقا سياسيا على الجميع، وبناتوا غير قادرين على تحمل تداعياته مستقبلا. ويؤكد الاهتمام بالوصول إلى صيغة محكمة للسلام الشامل في السودان ودولة جنوب السودان، انتهاء الزمن الذي كانت فيه الحركات المسلحة طرفا مفصليا. فئمة قوى إقليمية ودولية تنخرط في محادثات عديدة لغلق صفحات قائمة في الحروب الأهلية، ووقف الاستثمار في الميليشيات التي ساهمت بدور معتبر في إزدهارها داخل المنطقة، وحالت دون تحقيق الأمن والاستقرار في دول كثيرة.

بداية التراجع

عرفت المنطقة العربية أنواعا مختلفة من الحركات المسلحة، بعضها كانت لها أهداف وطنية ومشروعة، وجرى حرقها لخدمة أغراض قوى إقليمية، وبعضها تم تكوينها لتصبح من أزرعها العسكرية المركزية، وضمان أكبر قدر من السيطرة على مقاليد الأمور الداخلية في بلد المنشأ، واستخدامها كعقائل ضد أهداف خارجية، ومقدمة للجحود أو رأس حربة للدفاع عن السدول الراعية كي تكون ساحتها بعيدة عن المعارك المباشرة.

لجأت إيران إلى هذه الأداة كوسيلة لتصدير ثورتها، وحيلة لنشر مذهبها الشيعي، وقمع الجهات المناهضة لها، وقوة للحفاظ على مصالحها الاستراتيجية، ولم تمنع في تمويل كتائب مسلحة وعناصر دينية سنية طالما التقت معها على قاعدة سياسية.

يبدو النظام الإيراني بتوجهاته التوسعية قاسما مشتركا في معظم الصراعات الإقليمية. كذلك أضحت الأطراف التي تعمل في كنفه وتحت عباؤه واحدة من الأسباب التي تحول دون الهدوء وتوفير الأمن والاستقرار في المنطقة. بالطبع هناك عوامل أخرى، لكن تبقى طهران راعية رئيسية للميليشيات، كسرهما يمكن أن يفتح الطريق لوقف نشاط كتائب مسلحة عديدة.

لدى دوائر كثيرة قناعة بأن إضعاف إيران اقتصاديا سيقود إلى تخفيض مستوى الدعم المالي للعناصر المسلحة التابعة لها، وتلك التي تدور في فلكها، وهي مواجهة عسكرية مباشرة مع الميليشيات قد تسفر عن المزيد من الاقتتال، بالتالي فخير خيار تخفيف المنابع يبدأ من طهران.

ولدى دوائر أخرى قناعة معاكسة، تؤكد صعوبة توقف الدعم الإيراني لهؤلاء، لأن الحبل السري الذي يربط الجانبين يجعل المصير واحدا، والبلاء يعم على الجميع. ولم يعتقد قادة طهران الحياة بعيدا عن الحرس الثوري والباسيج وكل الأزرع التابعة لهما في الداخل والخارج، وفقدانهم يعني الانتحار.

تشير بعض المعطيات إلى وجود إرهابيات تراجع في مسألة الكتائب المسلحة بالمنطقة، أو على الأقل انخفاض في مستوى الدور الذي تلعبه في تقرير مستقبل الحرب والسلام. يحتاج هدمه إلى تعاون بين قوى إقليمية ودولية، وتنسيق لفتح الباب لمعاقبة الدول التي ترعى الميليشيات.

إثر الغزو الأميركي للعراق، انهارت السلطة العسكرية المركزية، بما فتح الباب أمام ميليشيات وجماعات مسلحة طائفية لتحل محل الجيش. تكرر السيناريو في دول عربية أخرى بعد الفوضى التي اندلعت في سنة 2011. ضخت دول مثل إيران وتركيا وقطر أموالا وقدمت دعما هائلا للميليشيات المسلحة لكن كان الردود قصير المدى، حيث بدأت الجيوش الوطنية تستعيد عافيتها، كما يحدث اليوم في ليبيا. وبات الجميع يؤكد أن الطريق إلى الاستقرار المنشود في المنطقة يبدأ بإعادة الميليشيات إلى التوقف.

وتوافقت مع بعضها، الإكراه مثلا، بحجة أن لهم مطالب قومية. كانت العلاقة خاضعة لتوازنات متعددة، ترتفع وتهبط، تتصادم وتتلاقى، وفقا لسياقات معقدة.

برعت دول كثيرة في جني الثمار من وراء الكتائب المسلحة، وتصور أن أرباحها دائمة، واستخدامها سيسبب استمرارها ويزيد من دون تحديات. تظل تركيا وقطر والميليشيات المذهبية والدينية والعصابات الإرهابية كواحدة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية، وتحقيق طموحات نوعية في المنطقة. لها وكلاء معتمدون داخل الكثير من الدول العربية، ويتلقون دعما ماديا ولوجستيا.

ارتفعت تكلفة سوق الميليشيات في الشرق الأوسط، بما دفع بعض القوى التي غشت الطرف عنها إلى الاتفات لخطورتها أخيرا، وباتت من الكوابح التي تعطل تسوية بعض الأزمات الإقليمية. كما أن فكرة استمرار المعارك لأجل استنزاف أطرافها لم تعد صائبة في بعض الأزمات، وأطالبت أمدها في بعض الأوقات، ولم تتوقف الشرابين التي تمر عبرها العناصر البشرية والمعدات العسكرية عن الضخ.

الحديث عن طي صفحة الميليشيات يتزايد على الساحة الليبية، وأصبح أحد الأهداف الرئيسية لأي عملية سياسية جادة في هذا البلد

ظهرت مؤشرات على تخفيف المنابع في سوريا بعد الهزيمة التي تلقتها القوى المتطرفة هناك، داعش والنصرة وغيرهما، وتم سد الكثير من المنافذ التي يتسرب منها الدعم، والشروع في ترتيب الأوضاع بما يمهّد لدخول عصر حقيقي من التسوية. قد تكون مكوناتها لحل يصمد ويقاوم القوى الراضة لم تتكيف بعد، لكن الاتجاه العام يميل إلى ضرورة البحث عنه، الأمر الذي يتطلب التخلص من الدور الفاعل لما تبقى من كتائب مسلحة.

تزايد الحديث عن طي صفحة الميليشيات على الساحة الليبية، وأصبح أحد الأهداف الرئيسية لأي عملية سياسية جادة هناك. لم تعد مرواغات القوى الراغبة في بقائها تنظلي على قوى كثيرة. كل المبادرات والمقاربات تمنح أولوية لحسو سجل العناصر المسلحة، وحتى لو كان هناك من يحققون استفادة من ورائها، فالخطاب المعلن لغالبية

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

القاهرة- انتعشت الكتائب المسلحة في السنوات الأخيرة، وبدت، في بعض الدول العربية، رديفا للقوات النظامية أو منافسا لها. وتسببت الميليشيات في زيادة الصراعات العسكرية، خاصة عندما تمكن قادتها من الحصول على دعم سخي من جهات مختلفة، وحولهم الدعم إلى لاعب رئيسي في توترات عدة.

لكن اليوم هناك بؤادر أو ميل لمراجعة بطيئة عقب استفحال دور هذه الميليشيات وتوظيفها كإزعة طويلة في بعض النزاعات الإقليمية، بما أخل بالتوازنات على جبهات ساخنة، وحال دون الوصول إلى تسويات سياسية في بعض الدول العربية التي تمر بلحظات مصيرية.

أداة هدم

تشكلت الجماعات المسلحة في أزمنة سابقة لأغراض عدة، منها ما هو قبلي وعرفي للدفاع عن مصالح جهات تتعرض للخطر من حكوماتها المركزية، أو لها مطالب سياسية تعتقد أنها مشروعة، ومنها ما ارتبط بمكافحة الاستثمار القديم تحت لافتة حركات التحرير، وما يعرف بالمقاومة، خاصة ما يتعلق بالتخلص من الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية.

هناك من الجماعات ما تشكل لأسباب دينية وانتشر مع الإحتلال السوفيتي لأفغانستان في نهاية السبعينات من القرن الماضي، والقي بحممه وإفرازاته لاحقا على المنطقة العربية، وثمة ما بني على قاعدة مذهبية وطاقية وازدهر في التوقيت ذاته مع الثورة الإسلامية في إيران.

زال البعض من هذه الجماعات تماما، بحكم انتهاء المهمة وما لحق بها من ضعف، وبقيت مجموعات تمارس دورها حسب التطورات والدعم الذي تتلقاه من العناصر الممولة. ارتفع صوت آخرين وتحولوا إلى قوة مؤثرة تتفوق في نفوذها وهيمنتها على مؤسسات نظامية، وأصبحوا رقما أساسيا في معادلات إقليمية متغيرة. يتلقون الدعم في العلن ومن جهات لم تعد مجهولة. وتلتحف بغطائهم دوائر سياسية رسمية، ودخلا في تحالفات مركبة، ظاهرة وخفية، والتقت المصالح عند نقاط يصعب الفكك منها.

استفادت بعض الدول الغربية من الظاهرة لتبرير تقاعسها أو إطالة أمد صراعات لم تتبلور ملامحها بعد، وراقبتها عن كثب، لكن لم ترفضها أو تبدي ممانعة حاسمة ضدها، بل اقتربت